العنوان:	الطيب في القرآن الكريم
المصدر:	مجلة الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت
المؤلف الرئيسي:	الربيع، وليد بن خالد
المجلد/العدد:	س54, ع617
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	أكتوبر - نوفمبر
الصفحات:	12 - 14
رقم MD:	795813
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الفاظ القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/795813

أ. د. وليد خالد الربيع
أستاذ الشريعة
جامعة الكويت

الطيب في القرآن الكريم

الطيب من المعاني الجميلة، والصفات الجليلة، وقد كثر في القرآن الكريم ذكر الطيب والطيبين والطيبات، مما يلفت الأنظار للتأمل، ويدعو للوقوف مع هذا الوصف الجميل، والتفكر في مواضع وروده في القرآن، والنظر في المقاصد الدقيقة، والمعاني العميقة التي اشتملت عليها تلك الآيات الكريمة ليتحقق بعض التدبر الذي أمرنا الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (ص:٢٩).

وفي هذا البحث الموجز وقفات مختصرة مع بعض الآيات الكريمة التي تناولت هذا المعنى الجليل لتقريب الفوائد التي استنبطها العلماء بين يدي القارئ الكريم.

الوقفة الأولى: تعريف الطيب

الطيب مصدر الفعل طاب الشيء طيبا وطيبة، أي: زكا وطهر (١).

قال ابن فارس: «الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث، من ذلك الطيب: ضد الخبيث. والطيب: الحلال» (٢).

وذكر في «لسان العرب» أن كلمة الطيب لها إطلاقات متعددة تختلف بحسب السياق، فيقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات؛ وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة؛ وطعمة طيبة إذا كانت حلالا؛ وامرأة طيبة إذا كانت حصانا عفيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ (النور:٢٦)؛ وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه؛ وبلدة طيبة أي آمنة كثيرة الخير. والكلمة الطيبة: شهادة أن لا إله إلا الله.

قال ابن الأثير: «وقد تكرر في الحديث ذكر الطيب والطيبات، وأكثر ما يرد بمعنى الحلال، كما أن الخبيث كناية عن الحرام» (٣).

فالطيب في اللغة هو كل ما تستلذه الحواس أو النفس، كما يطلق الطيب على ما خلا من الأذى والخبث، ويوصف بالطيب من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل، ويطلق الطيب في الشرع على الحلال المستلذ من الأطعمة.

الوقفة الثانية: الطيب ما أحله الله تعالى

ينبغي العلم أن الطيب ما أحله الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ



﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة:٤)، فليس كل ما تستلذه الأنفس وتقبله العقول يكون طيبا في الشرع، فالطيب ما أحله الله تعالى، والخبيث ما حرمه سبحانه، ومن مهام النبي ﷺ بيان الحلال والحرام والتمييز بين الطيب والخبيث كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأعراف:١٥٧)

قال ابن كثير: أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر، والسوائب، والوصائل، والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث، قال ابن عباس: كلحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى.

وقال بعض العلماء: كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين (٤).

قال الشيخ ابن عثيمين: إن الإحلال والتحريم ليس للعباد، بل هو إلى الله عز وجل، وقد حذرنا الله عز وجل من أن نحلل أو نحرم بأهوائنا فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ (النحل:١١٦).

ورسول الله ﷺ لا يستقل بالتحليل أو التحريم، وقد صرح النبي ﷺ بذلك حيث قال للصحابة: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مساجدنا»، فذهب الصحابة يقولون: حرمت حرمت، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: «إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها» (٥).

ولهذا نهى الله تعالى عن تحريم الطيبات فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (المائدة:٨٧).

قال الشوكاني: الطيبات هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرموا على أنفسهم شيئا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا لرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئا مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام علي، وحرمته على نفسي ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني.

قال ابن جرير الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبي ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون.

فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ، وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون (٦).

قال الطاهر بن عاشور: «وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ تنبيه لفقهاء الأمة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه، أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهي الوارد في هذه الآية» (٧).

الوقفة الثالثة: الطيبات من نعمة الله تعالى على عباده

امتن الله تعالى في آيات كثيرة على عباده بأنه رزقهم من الطيبات منها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء:٧٠).

قال ابن سعدي: وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره؛ حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ﴾ على الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب البرية، وفي ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ في السفن والمراكب، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المآكل والمشارب والملابس والمناكح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير (٨).

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (غافر:٦٤).

قال ابن كثير: «أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق، فهو الخالق الرازق» (٩).

بل إن الهداية إلى القول الطيب بالمعنى العام هي توفيق من الله تعالى، كما قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (الحج:٢٤).

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ يقول جل ثناؤه: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه» (١٠).

الوقفة الرابعة: أمر الله سبحانه بتحري الطيب كسبا وتصرفا

فأمر سبحانه بالأكل من الحلال الطيب فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ (البقرة:١٦٨).

قال الطبري: «يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ فطيبته لكم» (١١).

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ (البقرة:١٧٢).

قال القرطبي: «هذا تأكيد للأمر الأول يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾، وخص المؤمنين هنا بالذكر تفضيلا. والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه» (١٢).

وأمر سبحانه بالإنفاق من الطيب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢٦٧).

قال ابن عباس: «أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» (١٣).

الوقفة الخامسة: عاقبة الطيب الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة

بين القرآن الكريم أن جزاء طيب الاعتقاد والعمل هو الحياة الطيبة كما قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

قال ابن كثير: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت» (١٤).

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (إبراهيم:٢٤ و٢٥).

قال الشيخ ابن سعدي: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها كشجرة طيبة، وهي النخلة، أصلها ثابت في الأرض وفرعها منتشر في السماء وهي كثيرة النفع دائما.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرتها كل حين ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما، يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينتفع غيره (١٥).

وبين سبحانه عاقبة الطيبين فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢).

قال ابن عاشور: «والطيب: بزنة فيعل، مثل قيم وميت، وهو مبالغة في الاتصاف بالطيب، وهو حسن الرائحة، ويطلق على محاسن الأخلاق وكمال النفس، فقوله تعالى هنا: ﴿طَيِّبِينَ﴾ يجمع كل هذه المعاني» (١٦).

وقال القرطبي: و﴿طَيِّبِينَ﴾ فيه ستة أقوال: الأول: طيبون طاهرون من الشرك، الثاني: صالحون، الثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم، الرابع: طيبو الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى، الخامس: طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله. السادس: طيبون أن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم؛ بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمخلط» (١٧).

فنسأل الله تعالى أن يطيب قلوبنا وأعمالنا وعاقبتنا إنه سميع مجيب.

الهوامش

١- المعجم الوسيط، مادة (طاب)،٥٩٣/٢.
٢- معجم مقاييس اللغة، مادة (طيب)، ٤٣٥/٣، ابن فارس، ط٢، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩م.
٣- لسان العرب، مادة (طيب)، ٥٦٢/١، ابن منظور، إيران: نشر أدب الحوزة. ١٤٠٥هـ.
٤- تفسير القرآن العظيم، ٢٥١/٢، ابن كثير، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٢م.
٥- تفسير سورة المائدة، ٥٩/١، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ، والحديث أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا، حديث ٥٦٥.
٦- فتح القدير، ٦٩/٢.
٧- التحرير والتنوير، ١٦/٧، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر.
٨- تيسير الكريم الرحمن، ص٤٦٣، ط٥، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ٢٠٠٠م.
٩- تفسير القرآن العظيم، ٨٦/٤.
١٠- جامع البيان، ٥٩٤/١٨، الطبري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
١١- جامع البيان، ٣٠٠/٣.
١٢- الجامع لأحكام القرآن، ٢١٥/٢، القرطبي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة١٩٦٧م.
١٣- تفسير القرآن العظيم، ٣٢٠/١.
١٤- تفسير القرآن العظيم، ٥٨٥/٢.
١٥- تيسير الكريم الرحمن، ص٤٢٥.
١٦- التحرير والتنوير، ١٤٤/١٥.
١٧- الجامع لأحكام القرآن، ١٠١/١٠.